

على أبواب الطائف

- النبي : (يأمر من ينادى) كفوا عن الأعناب والنخيل..
 الثقيون : إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعها لله وللرحم.
 النبي : بل أدعها لله والرحم.

* * *

- النبي : (منادياً في أهل الحصن) من خرج إلينا فهو حر.
 البعض : فيهم عبيد.. (مستذكرين) أتعتقهم يا رسول الله؟!
 النبي : أولئك عتقاء الله، لا سبيل عليهم.
 البعض : يا رسول الله، ادع الله على ثقيف.
 النبي : اللهم اهد ثقيفاً واكفنا مؤنتهم وأنت بهم.
 (للمسلمين) قولوا لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده!

* * *

obeikandi.com

«حنين في شوال سنة ٨ هـ، وقد أجمع الرسول - عليه السلام - أمره بالاتجاه إلى الطائف التي طارت إليها فلول هوازن للتحصن مع ثقيف بحصونهم المنيعة.. النبي - عليه السلام - يأمر بإرسال الغنائم من «حنين» إلى «الجعرانة» بين مكة والطائف، ويأمر خالد بن الوليد أن يسبقهم على رأس قوة إلى الطائف يعسكر هناك حتى يوافيه..».

* * *

«بظاهر الطائف وقد عسكر خالد بن الوليد بناحية من حصنها الذي تمنعت فيه ثقيف والهاربون إليها بينما يدور خالد حول الحصن يتلمس نواحيه.. يقف خالد فينادى على أهل الحصن..».

خالد بن الوليد : (منادياً) فلينزل إليّ بعضكم أكلمه وهو آمن حتى يرجع !
«لا أحد بالحصن يجيب!».

(يستأنف) أو اجعلوا لي مثل ما جعلت لكم وأدخل عليكم حصنكم أكلمكم!

الثقفيون : لا ينزل إليك رجل منا ولا تصل إلينا.. يا خالد إن صاحبكم لم يلق قوماً يحسنون قتاله غيرنا..

خالد : اسمعوا مني!.. لقد نزل رسول الله بأهل الحصون والقوة بيثرب وخيبر، وبعث رجلاً واحداً إلى فدك فنزلوا على حكمه، وأنا أحذرکم مثل يوم بنى قريظة.. حصرهم رسول الله أياماً ثم نزلوا على حكمه، ثم دخل مكة وأوطأ هوازن في جمعها..

بعضهم

: ما قابل قومًا مثلنا..

خالد

: أنتم فى حصن فى ناحية من الأرض، لو ترككم لقتلكم من

حولكم ممن أسلم!

الثقفون

: لا نفارق ديننا، ولا يقدر علينا فى حصننا أحد!

* * *

«الطريق من «حنين» إلى الطائف.. النبى

يسلك بالمسلمين على «نخلة اليمانية»: وادٍ على

بعد ليلة من مكة.. ثم على «قرن»: قرية على

بعد خمسين ميلا من مكة.. ثم على «الملح»:

وادٍ بقرب الطائف، ثم على «بُحرة الرُغاء» من

«ليّة»: موضع فى ليّة من ديار نصر.. يحط فيها

المسلمون رحالهم طلبًا للراحة قبل أن يستأنفوا

إلى الطائف وحصونها..».

«مضارب المسلمين فى «ليّة».. وقد هاجت

هذيل لرجل لها قتله رجل من بنى ليث.. يتوافد

المختصمون إلى النبى - عليه السلام - يطلبون

حكمه حقنًا للدماء وقد اقتادوا القاتل الذى لم

يدفع التهمة أو ينكرها.. النبى - عليه السلام -

يأمر بالقود ويتسلم القاتل لهذيل لتقتص أو تعفو

فتؤثر القصص..».

* * *

«بالطريق بعد أن غادر المسلمون «ليّة» وهدموا

حصنًا فى الطريق لمالك بن عوف.. المسلمون

يسلكون طريقاً يقال له «الضيقة» فيقول لهم
النبي - عليه السلام - مستبشراً: «بل هي
اليسرى».. المسلمون يخرجون من هذا الطريق
فيشرفون على «نخب»: وادٍ بظاهر الطائف،
وينزلون تحت سدرة يقال لها: «الصادرة»،
ويمرون بقيرٍ قديم فيقف البعض متسائلاً..».

بعض المسلمين : لمن هذا القبر يا رسول الله؟!
النبي : هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان
بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج أصابته النقمة التي
أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه
غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه..

* * *

«على حصن الطائف.. الحصن ضخم بالغ
المناعة، ملأته ثقيف بال سلاح والسهام والنبال
والعتاد، ويشرف الثقفيون منه على السفوح
والوديان المحيطة.. ما يكاد المسلمون يظهرون
حتى يبادرهم رماة الثقفيين بالسهام والمقاليع من
الحصن.. لا يدعون لأحد أى فرصة للاقتراب من
أبواب أو أسوار الحصن..».

«بالسفوح حول الحصن وقد قتل من المسلمين
اثنا عشر رجلاً، أصابتهم النبال التي أخذت
تتساقط كالجراد - النبي - عليه السلام - يأمر
المسلمين بالابتعاد عن مرمى النبال، ويختار

موضعاً ليعسكروا فيه.. المسلمون يقيمون قبطين
للرسول: إحداهما لزوجه أم سلمة والثانية لزوجه
زينب، ويمضى كبار الصحابة من المهاجرين
والأنصار فينظمون مضارب الناس تأهباً لحصار
طويل!»

«خالد بن الوليد من بين الصفوف.. يقترب
من الحصن ينادى...».

خالد بن الوليد : (منادياً) من يبارز؟

«لا يرد أحد..»

خالد : (معاوذاً) من يبارز؟! .. (مستحثاً) ألا من مبارز؟!!

«عَبْدُ ياليل يطل من أعلى الحصن..»

عبد ياليل : لا ينزل إليك أحد، ولكننا نقيم فى حصننا.. خباناً
فيه ما يصلحنا سنين، فإذا أقيمت حتى يذهب هذا الطعام
خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا..

* * *

«على أسوار حصن الطائف وقد طال الحصار
حتى بلغ بضع عشرة ليلة.. قد طال بالمسلمين
الإجهاد، فيشير سلمان الفارسى بنصب المنجنيق
لكسر الحصار، يسارع بمشورته إلى النبي - عليه
السلام..».

سلمان الفارسى : يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم،
فإننا كنا بأرض فارس ننصب المنجنوقات على الحصون،
وتُنصب علينا.. فنصيب من عدونا ويصيب منا بالمنجنيق..

«ينبرى البعض فيؤيد مشورة سلمان، ويقبل الطفيل بن عمرو الأوسى فيضع ما أتى به من منجنيق ودبابات حشدها له قومه تحت أمر المسلمين، بينما يعكف سلمان ونفر تطوعوا معه لعمل المزيد من المنجنيق لعله يفت في المتنعين بالحصن...».

* * *

«بعد يوم، عدد من المسلمين ينتهزون فرصة التقاذف بالمنجنيق، فيزحفون إلى الحصن من تحت دبابتين تقيانهما النبل والسهم.. يقتربون من حائط للحصن يأملون حفر ثغرة فيه،.. ما تحس بهم ثقيف حتى ترسل عليهم من أعلى الحصن كتلا من الحديد المحمأة بالنار، فحرقت الدبابتين.. المسلمون لا يملكون إلا الخروج من تحت الدبابتين فراراً من النيران المشتعلة، فتتلقفهم نبال الثقيفين، تعمل فيهم القتل والجراح...».

بعض المسلمين : (متصايحين) قطع أعنابهم ونحرق نخيلهم..
«يندفع المسلمون إلى الأعناب والنخيل بسفوح الحصن...».

الثقيفون : (منادين من أعلى الحصن) لا تفسدوا الأموال، فإنها لنا ولكم.. (ينادون على النبي) لماذا تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعها لله وللرحم..
النبي : بل أدعها لله وللرحم.

«النبي - عليه السلام - ينادى فى المسلمين
أن يكفوا عن الأعناب والنخيل.. يصدعون..».

* * *

«النبي - عليه السلام - يستدعى إليه بعضاً
من جهيرى الصوت فيأمرهم بأن ينادوا على
الثقيين من أسفل الحصن أن من يخرج من
الحصن فلن يمس بسوء وأنه حر..».

: (ينادون من أسفل الحصن) يقول لكم رسول الله: أيما
شخص نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر.. أيما شخص
نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر..

المنادون

«يخيم صمت طويل، يعقبه خروج بضعة
عشر رجلاً من الحصن.. يتقدمهم أبو بكر
وفيهم عبد لعثمان بن عامر بن معتب يقال
له «المضطجع».. وعبد لكدة يقال له الأزرق
ابن الأزرق، ووردان بن عبيد بن ربيعة الثقفى
وآخرون.. النبي عليه السلام يستقبلهم حفيماً،
وينفذ لهم وعده، ويعطيهم الحرية دون أن
يمسهم أحد أو يعرض لهم أحد بسوء..».

: (متسائلين) فيهم عبيد.. أتعتقهم يا رسول الله؟

البعض

: من خرج إلينا من العبيد فهو حر..

النبي

: سوف تنشدهم ثقيف!

البعض

: أولئك عتقاء الله، لا سبيل عليهم..

النبي

* * *

«قبة النبي - عليه السلام - على أسوار
الطائف، عيينة بن حصن يتقدم إلى النبي -
عليه السلام - يستأذنه في أن يأتي أهل
الطائف فيكلمهم لعل الله تعالى أن يهديهم..
النبي - عليه السلام - يأذن له...».

«بحصن الطائف، عيينة بن حصن جالس إلى
زعماء ثقيف.. عيينة يتودد ويتقرب إلى الثقيفين
حتى أنسوا إليه وجعلوا يسألونه بماذا يشير
عليهم...».

- عيينة بن حصن : (ناصحًا) تمسكوا بمكانكم..
الثقيفون : أنت تقول ذلك؟!
عيينة : أجل.. فداؤكم أبي وأمي! والله لقد سرنى ما رأيت منكم،
والله لو أن في العرب أحدًا غيركم! والله ما لاقى محمد
مثلكم قط.
ثقيفون : (متعجبين) ترى ذلك؟!
عيينة : لقد ملوا المقام. فاثبتوا في حصنكم، فإن حصنكم حصين،
وسلاحكم كثير، وماءكم واتن لا تخافون قطعه!.. لا يتكاثر
عليكم قطع ما قطع من أشجار.. فاثبتوا في حصنكم..
«ينصرف عيينة مودعًا بخليط من الرضا
والتوجس!!».
- الثقيفون : (لكبيرهم أبي محجن متعجبين) كنا قد كرهنا دخوله،
وخشينا أن يخبر محمدًا بخلل إن رآه فينا أو في حصننا!

أبو محجن الثقفي : أنا كنت أعرف به منكم.. ليس منا أحد أشد على محمد
منه!

بعضهم : (فى عجب) وهو معه؟! :

أبو محجن : (مؤكدًا) وإن كان معه.

* * *

«مضارب المسلمين بالسفوح حول الحصن،
المسلمون يستقبلون عيينة بن حصن بمزيج من
الشوق والترقب.. يطلع عليهم صاحب العزم
الأكبر - عليه السلام - فيسأله مستطعًا..».

النبي : (لعيينة) ما قلت لهم ؟

عيينة بن حصن : دعوتهم إلى الإسلام، وقلت لهم ادخلوا فى الإسلام وحذرتهم
من النار، ودللتهم على الجنة.. وقلت لهم والله لا يبرح
محمد عقر داركم حتى تنزلوا، فخذوا لأنفسكم أمانًا،
قد نزل بساحة أهل الحصون قبلكم: قينقاع، والنضير،
وقريظة، وخيبر أهل الحلقة والعدة والآطام.. (يستأنف)
قد خذلتهم ما استطعت..

النبي : كذبت!

عيينة : (يردد واجفًا) كذبت؟

النبي : لقد قلت لهم..

«النبي - عليه السلام - يطفق يعيد على
مسامع عيينة ما قاله لثقيف، وعيينة مبهوت
قد جف حلقة وتقطعت أنفاسه وكاد قلبه يتوقف
عن الخفقان..».

عيينة : (فى تسليم) صدقت يا رسول الله.. أستغفر الله وأتوب إليه
وإليك من ذلك..

«عمر بن الخطاب ينبرى وقد استشاط
غضباً..».

عمر بن الخطاب : (ثائراً) يا رسول الله، دعنى أقدمه فأضرب عنقه.
النبي : (حزيناً) لا يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى!
أبو بكر الصديق : (منبرياً) ويحك يا عيينة! إنما أنت أبداً توضع فى الباطل،
كم لنا منك من يوم بنى النضير، وقريظة، وخبير.. تجلب
علينا وتقاتلنا بسيفك، ثم أسلمت كما زعمت فتحرض
علينا عدونا!
عيينة : أستغفر الله وأتوب إليه، لا أعود أبداً!

* * *

«بأسفل خارج الحصن، أبوسفیان بن حرب
والمغيرة بن شعبة يشيران إلى أهل الحصن طلباً
للأمان..»

أبوسفیان والمغيرة : (مناديين) أمَّنوا حتى نتكلم..
الثقفون : (من أعلى الحصن) لكما الأمان.
أبوسفیان والمغيرة : نريد نساءنا من قريش أن تخرجن إلينا.. نخاف عليهن
السبى.
أبوسفیان : ابنتى تحت عروة بن مسعود ولها منه ولد: داود بن عروة..
المغيرة : والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة، عند قارب بن
الأسود.. لها منه عبد الرحمن بن قارب..
أبوسفیان والمغيرة : (يستأنفان) وأخريات.. ادفعوهن إلينا فإننا نخاف عليهن
السبأ! !

بنو الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان، يا مغيرة!

أبوسفيان والمغيرة : لبيكم..

بنو الأسود : ألا ندلكما على خير مما جئتما له!

أبوسفيان والمغيرة : ماهو؟

بنو الأسود : إن مال بنى الأسود حيث قد علمتما، ليس بالطائف مال

أبعد رشاءً، ولا أشد مؤنة منه، ولا أبعد منه عمارة،

وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً، فكلماه ليأخذه لنفسه

أو ليدعه لله وللرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا

يجهل!

أبوسفيان والمغيرة : ننقل إليه ما قلتم..

«ينصرفان..».

* * *

«النبي - عليه السلام - يمر وينادي في

المسلمين مشجعاً وقد اشتد انهمار سهام الثقفيين

عليهم من أعلى الحصن..».

النبي : (منادياً) من بلغ بسهم فله درجة في الجنة..

«عمرو بن عبسة ما يكاد يسمع وعد النبي

حتى ينشط في الرمي فيرمى ستة عشر سهماً..

يتابعه المسلمون لا يخشون ما ينهمر عليهم من

أعلى الحصن..».

النبي : (يستأنف منادياً) من رمى بسهم في سبيل الله هو عدل

محرر، ومن شاب شيبية في سبيل الله كانت له نوراً يوم

القيامة، وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله سبحانه

وتعالى جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم، وأيما
امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله عز وجل جاعل
كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها فى النار..

* * *

«النبى - عليه السلام - بين بعض صحابته
وقد استطال الحصار وثقلت المعاناة على
المسلمين.. يشار عليه السلام نوفل بن معاوية
الديلى..».

النبى : يا نوفل..
نوفل بن معاوية الديلى : لبيك يا رسول الله..
النبى : ما ترى يا نوفل فى المقام عليهم؟..
نوفل : (مسرّاً) ثعلب فى جحر.. إن أقمت عليه يا رسول الله
أخذته، وإن تركته لم يضرك..
«النبى عليه السلام منعت يفكر ملياً..».

* * *

«فى الصباح، النبى - عليه السلام - وقد
جلس إليه صاحبه أبو بكر..».

النبى : يا أبا بكر.. إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً
فنقرها ديك فهراق ما فيها!
أبو بكر : (مفسراً الرؤيا) يا رسول الله، ما أظن أن تدرك منهم يومك
هذا ما تريد..
النبى : وأنا لا أرى ذلك..

* * *

«من على سور الحصن، يبرز ثقفى ينادى

على المسلمين معاً في صلافة ومباهاة!». .

: (منادياً) روحوا رعاء الشاء! روحوا جلابيب محمد! أترونا

نقباءس على أحبل (القضيب من شجر العنب) أصبتموها
من كرومنا؟

: (داعياً) اللهم، روح مروحاً إلى النار!

الثقفى

النبي

«ما يكاد النبى - عليه السلام - ينهى

دعاه، حتى يصاب الثقفى بسهم يهوى به من

أعلى الحصن!»

«أبو محجن بن حبيب الثقفى، زعيم رماة

الثقفيين، يطل من أعلى الحصن مباهاياً..».

أبو محجن الثقفى : (ينادى) يا عبيد محمد، إنكم والله ما لاقيتم أحداً يحسن

قتالكم غيرنا، تقيمون ما أقمتم بشر محبس، ثم تنصرفون

لم تدركوا شيئاً مما تريدون.. نحن قسى (لقب ثقيف) وأبونا

قسا!.. والله لا نسلم ماحيينا، وقد بنينا طائفاً حصيناً!

«يبرز له عمر بن الخطاب..»

عمر بن الخطاب : (منادياً) يا ابن حبيب. والله لنقطعن عنك معاشك حتى

تخرج من جحرك هذا.. إنما أنت ثعلب فى جحر يوشك

أن يخرج.

أبو محجن الثقفى : إن قطعتم يا ابن الخطاب حبلات عنب، فإن فى الماء

والتراب ما يعيد ذلك.

: لا تقدر أن تخرج إلى ماء ولا تراب.. لن نبرح عن باب

جحرك حتى تموت!

«أبو بكر يقبل مهرولاً..»
 أبو بكر : (ناهياً) يا عمر لا تقل هذا، فإن رسول الله لم يؤذن له في
 فتح الطائف!
 عمر : هل قال لك رسول الله هذا؟
 أبو بكر : نعم..

«عمر يكر عائداً يبحث عن رسول الله...»

* * *

«النبى - عليه السلام - يتفقد المسلمين بأدنى
 الحصن، تلقاه خولة بنت حكيم السلمية، فتتمنى
 عليه وعداً إذا فتح الله الطائف..»
 النبى : (يتبسم مباسطاً) وإن كان لم يؤذن لنا فى ثقيف يا خويلة؟!
 «خولة تنصرف متأملة فيما سمعت.. تتساءل:
 ما الذى قصده رسول الله؟!.. تصادف عمر بن
 الخطاب فتسر إليه بما سمعت من الرحمة
 المهداة..»

* * *

«قبة النبى - عليه السلام - يدخل عليه عمر
 ابن الخطاب مبلبل الخاطر بما سمعه من خولة
 وما ألمح إليه أبو بكر..»
 عمر بن الخطاب : يا رسول الله، حدثت خولة ما حدثتني أنك قلتها؟
 النبى : قد قلتها..
 عمر : يا رسول الله، أو لم يؤذن لك فيهم؟..
 النبى : لا..

عمر : أفلا أؤذن في الناس بالرحيل!

النبي : بلى.

«عمر بن الخطاب ينطلق فينادى بصوته
الجهورى بين الناس بالتهيؤ للرحيل.. لا
يكاد النداء يتردد فى جنبات الوادى حتى
يضطرب الناس متفرقين بين قابل ومشفق من
الانصراف...».

البعض : (مستهولين) ننصرف ولا نفتح الطائف!

آخرون : لا نبرح حتى يفتح الله علينا..

أحدهم : والله إنهم لأذل وأقل من لاقينا!

ثان : (مؤيداً) قد لقينا جمع مكة وجمع هوازن، ففرق الله تلك
الجموع!

ثالث : إنما هؤلاء ثعالب فى جحر، لو حصرناهم لماتوا فى حصنهم
هذا!

البعض : قد طال الحصار.. ولديهم الطعام والماء الواتن!

مجموعة : بل نبقى وسيفتح الله علينا..

«يتجه البعض إلى أبى بكر الصديق..».

البعض : يا أبأ بكر كلم لنا رسول الله أن نقيم حتى يفتح الله علينا..

أبو بكر : الله ورسوله أعلم، والأمر ينزل عليه من السماء..

«رھط يتجه إلى عمر بن الخطاب..»

الرھط : يا أبأحفص، كلم لنا رسول الله..

عمر : لا أفعل.. (يستأنف) قد رأينا الحديدية، ودخلنى فى

الحديبية من الشك ما لا يعلمه إلا الله، وراجعت رسول

الله يومئذ بكلام ليت أنى لم أفعل، وأن أهلى ومالى ذهباً!

ثم كانت الخيرة لنا من الله فيما صنع ، فلم يكن فتح كان
خيراً للناس من صلح الحديبية بلا سيف!

: (مردداً) فتح بصلح؟!

: أجل. دخل فيه من أهل الإسلام مثل من كان دخل من يوم
بُعث رسول الله إلى يوم كتب كتاب الصلح..

«تخافت اعتراضات الناس.. وتهدأ خواطرهم،

ويتابعون عمر بن الخطاب مترقبين..».

: (يستأنف) اتهموا الرأى، والخيرة فيما صنع رسول الله،
ولن أراجعه فى شىء من ذلك الأمر أبداً!.. الأمر أمر الله،
وهو يوحى إلى نبيه ما يشاء!

* * *

«النبى - عليه السلام - يمر بين المسلمين

يطيب خواطرهم، ويدعوهم..».

: (منادياً فى المسلمين) إنا قافلون إن شاء الله!

: (متنادين) نسمع ونطيع يا رسول الله..

«ينصرف الناس يتهيأون للرحيل.. يشرف

عليهم النبى - عليه السلام - ويناديهم..».

: (للمرتحلين) قولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق

وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده!

«المسلمون يبدأون فى الرحيل متنادين بدعاء

الرسول..»

«النبى عليه السلام على مخرج طريق العودة،

ينادى فى العائدين مشجعاً..»

أحدهم

عمر

عمر

النبى

المسلمون

النبى

النبي
المسلمون
: قولوا آيبون إن شاء الله، عابدون، لربنا حامدون..
: (يتصاعد دعاؤهم إلى السماء) آيبون إن شاء الله، عابدون،
لربنا حامدون..

«على جانب الطريق يفيض البعض إلى رسول
الله - عليه السلام - منكرين من ثقيف ما باهتهم
به وأغلظت فيه..».

البعض
النبي
: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف.
: اللهم اهد ثقيفًا واكفنا مؤنتهم وائت بهم!

* * *